مدخل إلى المصادر والنصوص الأدبية اللاتينية

د. دعاس فارس

1- العلاقة بين علم الآثار والنصوص الأدبية

قد يتساءل الطالب في علم الآثار عن العلاقة التي تربط علم الآثار بالمصادر والنصوص الأدبية التاريخية؟ والمعروف أن العلاقة بين علم التاريخ وعلم الآثار هي علاقة تكاملية، حيث أن التاريخ يوفر للآثار القرائن الإخبارية، والآثار توفر للتاريخ المصدر المادي للمعلومة الذي لا يقبل الشك، لذا وجب على كل باحث أثري أن يستعين بالنصوص الأدبية في بحثه لمحاولة تفسير الحقائق المحاطة بمختلف المعالم الأثرية ومعرفة تأريخها وأغراضها، ولعل أبزر مثال عن ذلك هو الباحث الأثري هنريخ شليمان الذي قاد العديد من التنقيبات الأثرية عن المدينة المفقودة طروادة، وقد خلفت هذه الحفريات نتائج كبيرة كشفت عن حضارات كانت قائمة بحد ذاتها مثل الحضارة الكريتية والميكينية، وإذا عدنا إلى خلفيات هذا الباحث نجده قد قرأ كثيرا الأوديسا والإلياذة للمؤرخ الإغريقي هوميروس، والتي جاءت فيهما أخبار حرب طروادة الشهيرة.

2- النصوص الأدبية وعلاقتها بتاريخ المغرب القديم

بدأ الإرث الأدبي اللاتيني الروماني مع منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وبدأ التاريخ المنهجي على وجه الخصوص مع نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، حيث تأثر المؤرخون في تلك الفترة بالأساطير وسجلات الأسر العريقة ومدونات الحوليات العظمى، كما تأثروا بمناهج المؤرخين في العصر الإغريقي، وكانت دوافع الكتابة عند المؤرخين الرومان مختلفة، إما أخلاقية وإما بدافع غرس الروح الوطنية، أو لدوافع سياسية بحتة من أجل نصرة جهة عن جهة أخرى.

ارتبط تاريخ بلاد المغرب القديم ارتباطا وثيقا بالكتابات الأدبية اللاتينية كمصادر تركها المؤرخون الرومان، وهذه الأخيرة تحمل قيمة تاريخية مهمة لا يمكننا إغفالها بأي حال من الأحوال، وفي نفس الوقت لا يمكننا أن نصفها بالكتابة النموذجية التي أعطت للمنطقة حقها، خاصة وأن سكان بلاد المغرب القديم لا يُذكرون إلاّ حين يتعلق الأمر بقربهم وعلاقاتهم بالحضارتين الرومانية والإغريقية، فقد كانت كتابة هؤلاء الكتاب وصفية في كثير من الأحيان مع تحيزهم إلى شعوبهم ومحاولة تقزيم السكان المحليين، خاصة وأن كثير منهم يدونون أخبارا سابقة لهم في الزمان والمكان ويعتمدون على سماعهم للرواية الشفوية دون تحقيق ونقد تاريخي ما جعل أغلب كتاباتهم يغلب عليها الجانب الأسطوري والقصص الخيالية مع العديد من الأخطاء التاريخية الفادحة ، أمام كل هذه المعطيات فقد تعاملنا بحذر شديد مع هذه النّصوص وقمنا بالعديد من الملاحظات والدراسات النقدية لكشف جانب من الحقيقة التاريخية.

3- كيفية التعامل مع المصادر والنصوص الأدبية

- تعريض النص الأدبي إلى نقد خارجي وباطني انطلاقا من واقع علاقة المؤرخ بسكان شمال إفريقيا.
- معرفة دوافع الكتابة لدى المؤرخ لمعرفة توجهاته وأهدافه من النص المدروس.
- مقارنة النصوص والمصادر مع بعضها البعض واستخراج التوافقات والتناقضات
- مقارنة زمن كتابة النص مع زمن حدوث الموضوع التاريخي، لمعرفة مدى قرب أو بعد الكاتب من الأحداث.
- محاولة تصنيف النصوص من الأجود إلى الأقل جوده لاستخراج المعلومة الصحيحة من المصدر المناسب.

4- أهم النصوص والمصادر الأدبية اللاتينية

- ساليسيوس: مؤامرة كاتلينا، حرب يوغرطة، التواريخ
- تيتوس ليفيوس: التاريخ الروماني
- بلينوس الأكبر: التاريخ الطبيعي
- أبوليوس: الحمار الذهبي، الأزاهير، المرافعة
- ترتليانوس: الشهداء، المرافعة

القديس أوغسطينوس: مدينة الله، الاعترافات.